إعادة تأطير الصراع في الترجمة

منى بيكر / ت: أحمد صديق الواحي

مستخلص

يتأسس هذا المقال على كل من نظرية السردية و مفهوم التأطير، الذي نشأ وتطور في أدبيات الحركات الاجتماعية، وذلك بغرض استكشاف الطرق المختلفة التي يستخدمها المترجمون في تعاملهم مع الجوانب الخلافية في السرديات التي يعبر عنها النص الأصلي (المكتوب أو المنطوق)، من تأكيد لتلك السرديات أو تقويضها أو تعديلها. يبدأ المقال بعرض للمنطلقات الأساسية التي يقوم عليها التصور السردي ومزاياه مقارنة بنظريات الترجمة الموجودة حالياً، ويمضى المقال بعد ذلك في تعريف مفهوم التأطير كما يستخدم في خطاب الناشطين السياسيين، ثم يستعرض بعض المواضع – أو بعض النقاط في متن النص أو حواشيه – التي يمكن أن يتحقق فيها التأطير (أو إعادة التأطير)، مع التوضيح بأمثلة مختلفة لاستراتيجيات التأطير المستخدمة في الترجمة التحريرية أو ترجمة الأعمال المرئية على الشاشة. والأمثلة المستخدمة مستقاة من ترجمات بين اللغتين العربية والإنجليزية في سياق صراع الشرق الأوسط وما يسمى بـ "الحرب على الإرهاب"، وان كانت القضايا النظرية التي يعرض لها المقال لا تختص بلغة معينة أو بسياق معين.

تعتمد هذه الدراسة على مفاهيم مستقاة من النظرية السردية وعلم الاجتماع ودراسة الحركات الاجتماعية، وذلك بغرض دراسة بعض الطرق التي يستخدمها المترجمون[*] لإعادة تأطير جوانب من الصراعات السياسية، والمشاركة بالتالي في بناء الواقع الاجتماعي والسياسي. وقد أوضحت نموذج التحليل المطبق هنا بشكل أكثر

تفصيلاً في كتاب سابق لي (بيكر Baker ٢٠٠٦أ) وفى مواضع أخرى[١]. ويعتمد هذا النموذج اعتماداً أساسياً على فكرة السردية "كما تستخدم في بعض اتجاهات النظرية الاجتماعية والاتصالية، وليس بالطريقة التي تستخدم بها في علم اللغويات أو علم السرديات. فالسردية — في هذا الإطار — تستخدم مرادفة لـ "القصة": فالسرديات هي القصص التي نحكيها لأنفسنا أو لغيرنا عن العالم الذي نعيش فيه (أو "العوالم" التي نعيش فيها)، وإيماننا بهذه القصص هو الذي يوجه أفعالنا في العالم الفعلي. والسردية — بهذا المعنى — ليست جنساً لغوياً، ولا هي شكل اختياري من أشكال التواصل. إن السردية، كما يقول وولتر فيشرWalter Fisher، "ليست صيغة إضافية من صيغ الخطاب يستخدمها صاحبها عن اختيار متعمد منه، وإنما هي شكل المعرفة كما ندركها لأول مرة" (فيشر١٩٨٧: ١٩٣).

إن اختياري للسردية إطاراً نظرياً هو اختيار مدفوع بشعور عام بعدم الرضا عن الأفكار النظرية الموجودة حالياً، والتي نعتمد عليها عادة في محاولتنا تفسير سلوك المترجمين. وبصفة خاصة، تميل نسبة كبيرة من أدبيات الترجمة إلى الاعتماد على فكرة المعايير السائدة في الترجمة، حسبما هي مفصلة في نظرية النُظم المتعددة polysystem theory وفى كتابات جدعون توري Gideon Toury. وتشجع نظرية المعايير السائدة هذه المحللين على التركيز على السلوك المتكرر والمجرد والمنهجي، وهى بهذا تركز جل اهتمامها علي أنماط التشكيل الاجتماعي المؤثرة التي تنتج هذا السلوك، وتميل إلى التغاضي عن المحاولات الفردية والجماعية التي تسعي إلي تقويض الأنماط السائدة والعقيدة السياسية والاجتماعية الغالبة. وبالمثل فإن نظرية المعايير ليس لديها ما تقوله عن الأشكال النمطية المتداخلة الناتجة عن التفاعل بين أنماط السلوك المتكررة والثابتة وبين المحاولات المستمرة للخروج على هذا السلوك، أي التفاعل المتبادل بين الهيمنة والمقاومة، وهو جانب من جوانب سلوك المترجم أحرص حرصاً خاصاً على تسليط الضوء عليه في دراساتي الخاصة. ويمكن القول أيضاً بأن نظرية المعايير السائدة لا تبدي إلا اهتماماً قليلاً بالظروف السياسية والاجتماعية التي تنتج أنماط الهيمنة تلك، إضافة إلى أنماط مقاومة هذه الهيمنة.

ومن أنواع التنظير السائدة الأخرى التي تتيح لنا النظرية السردية تجاوزها ثنائية لورنس فينوتى Lawrence Venuti القاطعة، وهى ثنائية الإستراتيجية التغريبية والإستراتيجية التقريبية (فينوتى ١٩٩٣، ١٩٩٥)، والتي أعاد صياغتها في مواضع أخرى باسم إستراتيجية الترجمة للأقلية minoritizing وإستراتيجية الترجمة للأغلبية majoritizing (فينوتى ١٩٩٨). وبعيداً عن اختزال هذه الثنائية للتنوع الثرى في المواقف التي يتخذها المترجمون إزاء نصوصهم ومؤلفيهم ومجتمعاتهم، فإنها تتجاهل المواقف

المتحولة للمترجمين داخل النص الواحد – أي أنها تختزل الوسائل المعقدة التي يتفاوض من خلالها المترجم وهو يتعامل مع جوانب مختلفة من النص، ولا تبرز إلا اختياراً يكاد يكون مباشراً بين إستراتيجية التغريب ونقيضتها إستراتيجية التقريب. إن مجرد نظرة بسيطة على بعض النصوص التي أدرسها في أبحاثي الخاصة تدلنا على أن المترجمين يتأرجحون في ترجمتهم للنص الواحد بين اختيارات قد يراها فينوتى تقريبية وأخرى قد يراها تغريبية. والمهم أن هذا التأرجح يخدم غرضاً في الواقع العملي، فلا هو تأرجح عشوائي ولا هو غير خاضع للعقل.

ولكي نحقق التوازن بين تركيز نظرية المعايير السائدة على السلوك المجرد والمتكرر والتأثير التبسيطي لثنائيات فينوتى، فإن ما نحتاجه هو إطار يعترف بالموقف المتباين والمتغير، والقابل دائماً للتفاوض، للمترجمين بوصفهم أفراداً إزاء نصوصهم ومؤلفيهم ومجتمعاتهم وأيديولوجياتهم السائدة. ومن هنا يأتي اهتمامي بالنظرية السردية وتأتى محاولتي لتطبيقها على طائفة واسعة من الترجمات. ولا أدعى أن النظرية السردية يمكنها وحدها أن تعالج جميع مواطن الضعف في التنظير الراهن عن الترجمة، كما لا أذهب إلى أن هذا التنظير (بما فيه نظرية المعايير السائدة وثنائيات فينوتى) ليس مجدياً في التعامل مع طائفة واسعة من القضايا المتعلقة بسلوك المترجمين. لكنني أرى أن مواطن القوة الأساسية والمتداخلة للنظرية السردية تتمثل فيما يلي:

أولاً، إن النظرية السردية لا تعطى أفضلية للمقولات ذات الطبيعة الجوهرية والاختزالية، مثل العنصر والجنس والعرق والدين، وإنما هي تقر بالطبيعة التفاوضية لموقفنا تجاه الواقع الاجتماعي والسياسي. فالسردية، كما يقول هول وآخرون، "تتيح لنا أداةً لصياغة تصوراتنا عن الهوية، وهي أداة لا تتسم بالعمومية أو الطبيعة الجوهرية، وإنما لها خصوصيتها الثقافية والزمانية" (هول وآخرون Hall et al.٢٠٠٣: ٣٨). وبالتالي فإنها تتيح لنا أن نتجاوز التركيز على ما يفترض أنه اختلافات ثقافية متأصلة وعلى ذلك النوع من سياسات الهوية التي اعتمدت عليها نسبة كبيرة من دراسات الترجمة حتى الآن، وبخاصة تلك التي تتناول الخصائص الثقافية وأنماط السلوك (على سبيل المثال كاتان Catan ١٩٩٩، ٢٠٠٤)، أو تركز على الجنوسة gender (جودارد Goddard ١٩٩٠؛ سيمون Simon ١٩٩٦؛ فون فلوتو von Flotow ١٩٩٧)، والميول الجنسية sexuality (هارفى Harvey ١٩٩٨، ٢٠٠٣أ ؛ كيناجهن Keenaghan ١٩٩٨). ودون أن أنفى أهمية هذا النوع من الدراسات، أود القول بأن الوقت قد حان لتجاوزه. فسياسات الهوية، والأطر النظرية التي تبرز الخلاف بصفة عامة هي آخر ما نحتاج إليه من نماذج في هذه اللحظة بالذات من التاريخ، هذه اللحظة التي تجاهد فيها نظريات وخيمة العواقب مثل نظرية "صدام الحضارات" لصمويل هنتنجتون Samuel Huntington من أجل تسليط الضوء علي – أو بالأحرى اختلاق – مشهد كامل من الاختلافات، ساعيةً بذلك لا إلي تمكين empower الجماعات المقهورة في أدبيات

سياسات الهوية، وإنما إلي تبرير أكثر السياسات الخارجية إجراماً وخطورة. إن نظريات الاختلاف تلك بما تنطوي عليه من بواعث سياسية هي التي تسمح لهنتنجتون وأمثاله أن يزعموا على سبيل المثال أنه يوجد ما يسمى بـ "الميل الطبيعي لدى المسلمين ليكونوا طرفاً في الصراع العنيف" (١٩٩٦: ٢٥٨) وأن "بقاء الغرب يعتمد على تأكيد الأمريكيين لهويتهم الغربية وقبول الغربيين لحضارتهم باعتبارها حضارة متفردة وليست عالمية وعلى اتحادهم لتجديدها والحفاظ عليها ضد التحديات القادمة من المجتمعات غير الغربية" (١٩٩٦: ٢٠-٢١).

وإذا ما نحينا جانباً تلك النظريات وخيمة العواقب والسياسات الخارجية غير المسئولة، فمن المناسب أيضاً أن نشير إلى أن سياسات الهوية، مهما كانت جاذبيتها و امتلاكها لطاقةٍ قادرة على التحرير في سياقات سياسية معنية، قد عانت دائماً من أوجه قصور بالغة، وأخطرها هو أنها في صورتها التقليدية تُكتِّل الأشخاص الذين يشتركون في خصائص خارجية معينة (مثل النساء، والسود، والمثليين جنسياً، والباكستانيين) في مجموعات، وتتغاضى عن التنوع بين الأفراد داخل كل مجموعة. كما أنها تبالغ في تحديد هويات الأفراد عن طريق إعطاء الأسبقية لملمح واحد أو صفة واحدة على حساب غيرها من الملامح والصفات. إن ما نحتاج إليه بدلاً من ذلك هو القدرة على رصد موقع المترجمين الأفراد داخل إطار السرديات التي يشتركون فيها والتي تنبئنا عن سلوكهم في العالم الفعلي، بما فيه سلوكهم الخطابي discursive بوصفهم مترجمين. ولا يعنى هذا تجاهل الحقيقة الواضحة القائلة بأن تحديد موقعنا في مجتمع ثقافي أو عرقي أو ديني معين وفى نقطة زمنية معينة يمكن أن يؤثر في سلوكنا بأشكال معينة، لكن النظرية السردية تقر بأن هذا التأثير ليس حتمياً ولا متوقعاً. ففي لحظتنا الراهنة على سبيل المثال، يمكن أن يعنى كون المرء يهودياً أياً مما يلي: (أ) التأييد المطلق لإسرائيل والصهيونية، (ب) أي درجة من درجات التأييد الممزوج بالنقد للسياسات الإسرائيلية الراهنة، (ج) تنصل المرء من الهوية اليهودية تماماً و رفض الاتصاف بها، مع عدم إبداء الاهتمام بالصراع في الشرق الأوسط على الإطلاق، (د) أو تحمل مسئولية الانخراط بقوة في الأنشطة التي تهدف إلى فضح المشروع الصهيوني وتقويضه، كما يحدث حالياً بشكل متزايد بين قطاعات كبيرة في المجتمع اليهودي. بل إن وصف المرء نفسه بأنه يهوديٍ لا ينبئنا كيف يمكن أن يتصرف هذا الشخص في الواقع الفعلي، ولا أن يفسر لنا سلوكه، إلا إذا كنا نعرف شيئاً عن نوع السرديات التي يؤيدها، أو إذا كنا نستطيع أن نستنبطها من طريقة تصرفه أو من الخطاب الذي يصدر منه.

ثانياً، وبناء على ما ذكرناه أعلاه، تتيح لنا النظرية السردية أن نرى الفاعلين الاجتماعيين، ومن بينهم المترجمون، بوصفهم أفراداً من الحياة الحقيقية لا مجرد تجريدات نظرية. وكما ترى وايتبروك Whitebrook، فإن النظرية بصفة عامة "كثيراً ما تخفق في أن تجعل الفاعل السياسي شيئاً ملموساً" وأن "الشخصية تعالج باعتبارها

متغيراً من المتغيرات التي على المراقب أن يقيمها حين يحاول أن يفهم سلوك أي إنسان أو يتنبأ به" (٢٠٠١: ١٥). ولا شك أن نقد وايتبروك ينطبق على التنظير في مجال الترجمة أيضاً، وكذلك الحال بالنسبة لاقتراحها انتهاج النظرية السردية باعتبارها طريقة للخروج من أسر هذا التجريد (المرجع السابق نفسه):

يتيح لنا التحول للسرديات أن نفهم الأشخاص الذين أفقدتهم النظرية شخصياتهم وحولتهم إلى حاملي هوية نمطية أو هوية تعبر عن جماعة بوصفهم أشخاصاً مستقلين – أو شخصيات – لهم خصائص فردية مستقلة، تشمل السياق الاجتماعي والهوية الجماعية، لكنها لا تقتصر عليهما.

ثالثاً، تتيح لنا النظرية السردية أن نفسر السلوك تفسيراً حركياً لا تفسيراً ثابتاً – فهي نظرية تعترف بالتعقيد الناتج عن كوننا جزءاً لا يتجزأ من سرديات متقاطعة، بل ومتنافسة أحياناً. وهكذا فإن السردية "تضع الفاعل داخل علاقات وقصص تتغير عبر الزمان والمكان و... تحول دون الثبات القاطع في الفعل" (سومرز وجيبسون Somers and Gibson ١٩٩٤: ٦٥). ولا مجال في النظرية السردية لاختزال سلوك المترجمين أو اختياراتهم إلى تقسيمات عامة مثل التغريب في مقابل التقريب، أو المثاقفة نقيضا للمباعدة الثقافية، أو – بالطبع – الترجمة الأمينة نقيضاً للترجمة الحرة، حتى ولو كان ذلك في إطار نص واحد. وبالمثل، فلأن الفاعل هو دائما جزء لا يتجزأ من علاقات وقصص، فلا مجال لأن نحاول اتخاذ موقف متميز نزعم فيه "الموضوعية" أو "الحيادية" تجاه السرديات التي نحن منخرطون في ترجمتها بل وتحليلها. إن النظرية السردية تشجعنا على التفكر والتشكك في السرديات التي نرتبط بها والتي تشكل سلوكنا، لكنها لا تفترض أننا يمكننا أن نكبت موضوعيتنا أو أن نقف خارج تلك السرديات، حتى مع تفكرنا وتشككنا فيها.

رابعاً: وهى النقطة الأهم من وجهة نظري، تقر النظرية السردية بقوة البنى الاجتماعية وتأثيرات "النظام السائد"، لكنها في الوقت نفسه لا تتجاهل المقاومة الايجابية على المستوى الفردي أو المستوى الجماعي. فهي تعطى الدرجة نفسها من الاهتمام بالقضايا الخاصة بالهيمنة والمقاومة، ولطبيعة التفاعل المعتمدة على ممارسة طقوس معينة (حسب التقليد الذي أرساه إيرفنج جوفمان Erving Goffman) إضافة إلى الوسائل التي يتم بها التشكك في هذه الطقوس وتقويضها. وأخيراً، ورغم أنه لا يكاد يوجد أي عمل بحثي يستند إلي مفهوم السردية في النظرية الاجتماعية والاتصالية في درس قضايا اللغة، ناهيك عن قضايا الترجمة، فإن النظرية السردية تدعونا بشكل واضح لكي نطبقها على كل من اللغة والترجمة، وبطريقة تتيح لنا تفسير اختيارات الترجمة بالإشارة إلى السياقات الاجتماعية والسياسية الأوسع، ولكن دون التغاضي عن النص

والحدث الفردي. وهذا جانب من جوانب النظرية السردية حاولت توضيحه بشيء من التفصيل في أعمالي الخاصة، وسوف أحاول بيانه بمثال موسع في نهاية هذا المقال.

الأطر والتأطير

إن السرديات، كما أوضحت من قبل، هي قصص نشترك فيها — أي نؤمن بها، أو على الأقل نعتقد بإمكانية صدقها — وتحدد هذه القصص بالتالي الشكل الذي نتصرف به إزاء الآخرين وإزاء الأحداث التي نكون جزءا داخلا ضمنها. والسرديات — حسبما هي مستخدمة هنا — ليست وقائع تاريخية مرتبة زمنياً، وليست قوائم مختلطة من الأحداث: بل هي قصص تتشكل بفعل الزمن وبفعل مسببات بعينها، و ذلك علي نحوٍ يسمح لنا باتخاذ قرارات أخلاقية والتصرف في الواقع الفعلي.

وترى سومرز Somers (١٩٩٢، ١٩٩٤، ١٩٩٧) وسومرز وجيبسون Somers and Gibson (١٩٩٤) أن السرديات تتشكل من خلال أربعة سمات متشابكة. السمة الأولى منها هي سمة "البعد الزمني"[**] temporality، وتعنى أن السرديات داخلة ضمن الزمان والمكان، وأنها تستقى جزءاً كبيراً من معناها من اللحظة الزمنية والموقع المكاني للسرد. أما السمة الثانية فهي سمة "البعد العلائقي" relationality، وتعنى أنه من المستحيل على العقل الإنساني أن يجد معنى للأحداث المنفصلة أو لمجموعة من الأحداث التي لا تتشكل بوصفها سردية. فكل عنصر من عناصر السردية يعتمد في تفسيره على موقعه وسط شبكة العناصر التي تكوّن السردية ولا يمكن تفسيره بمعزل عنها. والسمة الأساسية الثالثة من سمات السردية هي "التوظيف الانتقائي" selective appropriation، فنظراً لاستحالة نسج قصة متماسكة من خلال إدخال جميع التفاصيل التي يَخبُرها المرء فلابد أن يتم ابتناء السرديات وفقاً لمعايير للتقييم تتيح وتوجه التوظيف الانتقائي لمجموعة من الأحداث أو العناصر من بين عدد لانهائي ومتداخل من الأحداث التي تكوّن خبرتنا. أما السمة الأخيرة والأهم من سمات السردية فهي "الصياغة السببية للحبكة" causal emplotment، وهي السمة التي "تعطي المغزى للأحداث المستقلة، وتطغى على ترتيبها الزمني أو تصنيفها النوعي" (سومرز Somers ١٩٩٧: ٨٢). وتسمح لنا الصياغة السببية للحبكة بتحويل مجموعة من التصورات إلى أحداث ذات تسلسل مفهوم يمكننا تكوين رأى بشأنه، ومن ثم يمكن تحميلها بمغزى أدبي وأخلاقي (بيكر Baker ٢٠٠٦ أ: ١٦٥). إن مشاركتنا في نمط معين من الصياغة السببية للحبكة في سردية الشرق الأوسط على سبيل المثال هو الذي يقودنا إلى تفسير حادث آخر من حوادث التفجيرات الانتحارية في إسرائيل بوصفه إما تهديداً للأمن الإسرائيلي، أو دليلاً على ضرورة القيام بإجراءات مثل الجدار العازل أو الاعتبارات التي تستهدف أشخاصاً بعينهم، أو نتيجة حتمية لتلك الإجراءات نفسها، وبالتالي "دليلاً" على أن الحل يكمن في تبنى بدائل أخرى. وتتوقف هذه البدائل بدورها

على أنماط أخرى من الصياغة السببية للحبكة أكثر خصوصية تميز السرديات الخاصة بفرد معين عن تلك الخاصة بغيره، حتى من داخل المجموعة الواسعة الواحدة من النشطاء السياسيين على سبيل المثال. فليس كل النشطاء في حركة التضامن الفلسطيني مثلاً موافقين بالضرورة على أن حل الصراع يكمن في مجرد إنهاء الاحتلال والعودة إلى حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ إذ يصر بعضهم على أن الحل يكمن في إعادة تشكيل فلسطين/إسرائيل في هيئة دولة علمانية واحدة تضم جميع المواطنين، أو "حل الدولة الواحدة" كما صار يطلق عليه. وأي أسباب يحتج بها لأي حل أو ضده لا يكون لها معنى متماسك إلا داخل الإطار الخاص للحبك السببي الذي يميز سردية عن أخرى.

ولكي تعمل هذه السمات المشار إليها، ولكي يتم تشكيل أي مجموعة من الأحداث في هيئة سردية لها نمط خاص من أنماط الصياغة السببية للحبكة، لابد من اضطلاع القائمين بالسرد بقدر كبير من العمل الخطابي. ويمكن أن يكون لفكرة "الإطار"، وخاصة مفهوم "التأطير" دور فعال في توضيح بعض الطرق التي يتم من خلالها أداء هذا العمل الخطابي. ولهذين المفهومين تعريفات عديدة في الأدبيات، ولكنهما يمكن بصفة عامة أن يفسرا تفسيراً سلبياً بوصفهما "أشكالاً للفهم" تنشأ من خلال التفاعل، وتفسيراً ايجابياً بوصفهما حركات خطابية متعمدة تهدف إلى توقع وتوجيه تفسير الآخرين لمجموعة من الأحداث ومواقفهم تجاهها. والتعريف الأول (والسلبي بصفة عامة) لمفهوم الأُطر هو التعريف الذي يميز أعمال ايرفنج جوفمان Erving Goffman، الذي يرى أن "تأطير الفرد لأي نشاط هو مايمنح المعني لهذا النشاط بالنسبة لذلك الفرد" (١٩٧٤: ٣٤٥؛ التأكيد مضاف من الباحثة). ويمكن أن نجد تعريفات مماثلة في أعمال علماء الاجتماع الآخرين الذين حذوا حذو جوفمان. إذ يعرف تانين ووالات Tannen and Wallat (١٩٩٣: ٦٠) على سبيل المثال الأطر بأنها "المعني الذي يمنحه المرء للنشاط الذي ينخرط فيه، أو الكيفية التي يعنى بها المتكلمون ما يقولون". وفي المقابل، تميل أدبيات الحركات الاجتماعية لتناول التأطير بوصفه عملية ايجابية لتكوين المعنى signification، فبالنسبة للنشطاء وللمهتمين بدراسة سلوكهم، تمثل عملية تأطير الأحداث جزءاً لا يتجزأ من ظاهرة النشاط السياسي. الأمر الجوهري هنا أن عملية التأطير تتضمن إنشاء بنى "التوقع" التي توجه تفسير الآخرين للأحداث، وهذا التفسير عادةً ما يشكل تحدياً مباشراً للتفسيرات السائدة للأحداث نفسها في مجتمع معين. ويعد هذا العمل الخطابي من تأطير للأحداث والقضايا الموجهة لمجموعة معينة من المخاطَبين مهماً لا لأنه يقوض السرديات السائدة عن قضية معينة (مثل الخطر النووي أو فلسطين أو ما يسمى بالحرب على الإرهاب)، بل لأنه يمثل أيضاً إستراتيجية أساسية لتشكيل شبكات ومجتمعات للنشطاء، ولتمكين الحركات الاجتماعية من النمو واجتذاب المؤيدين:

بينما يعتمد الفاعلون الاجتماعيون جميعهم على الأطر من أجل الاضطلاع بإنتاج المعاني الخاصة والحفاظ عليها، فإن الباحثين المهتمين بتحليل الأطر يدركون أن العملية الإستراتيجية لبناء الأطر وإدارتها هي عملية حيوية بالنسبة لعمل منظمات الحركات الاجتماعية التي تهدف لأن تحل محل "نظام معتقدات سائد يدعم الفعل الجماعي من أجل التغيير" (جامسون وآخرون Gamson et al. ١٩٨٢: ١٥). وبهذا المعنى توفر لنا عمليات التأطير آلية يمكن للأفراد من خلالها أن يرتبطوا أيديولوجياً بأهداف الحركة وأن يصبحوا مشاركين محتملين في أفعال الحركة.

(كننجهام وبراوننج Cunningham and Browning ٢٠٠٤: ٣٤٨)

ويرتبط مفهوم التأطير ارتباطاً وثيقاً بسؤال مهم، وهو كيف تتيح لنا النظرية السردية أن ننظر في السردية المباشرة التي يكشف عنها النص الذي نقوم بترجمته، وأن ننظر أيضاً في السرديات الأكبر التي يدخل ضمنها ذلك النص؟ وكيف يتيح لنا هذا — بدوره — أن نرى الاختيارات الترجمية ليس بوصفها مجرد تحديات لغوية محدودة، ولكن بوصفها اختيارات تسهم إسهاماً مباشراً في السرديات التي تشكل عالمنا الاجتماعي. وهنا يمكن القول بأن أي اختيار من جانب المترجم بإمكانه أن يعمل علي تفعيل سردية ما، أو قصة تصف لنا العالم أو جانباً من جوانب العالم. وبعض الاختيارات، خاصة تلك المتعلقة بكيفية تصنيفنا لحدث أو مكان أو جماعة، والمرتبطة بكيفية وضعنا للأفراد والمجتمعات في الحيز الاجتماعي والسياسي من خلال استخدام الضمائر وظروف المكان وغير ذلك، تتيح لنا تأطير السردية بالنسبة للآخرين، وذلك بالمعنى الحركي المعروف في الحركات الاجتماعية لمفهوم التأطير[٢].

ويدرك المترجمون الذين يعملون بين اللغتين الصينية والإنجليزية، على سبيل المثال، أن أحداث ١٩٩٧ في هونج كونج يمكن أن يشار إليها إما بتعبير "تسليم السيادة" ، وهو التعبير السائد في اللغة الإنجليزية the Handover of Sovereignty، أو (حرفياً) بتعبير "العودة إلى الوطن الأم"، وهو التعبير السائد في اللغة الصينية[٣]. ويدرك هؤلاء المترجمون بصفة عامة أن هذين الاختيارين ليسا مجرد تنويعين علي معني واحد، وإنما لهما عواقب خطيرة في الواقع الفعلي. وبالمثل فعند ترجمة نص عن أحداث ١٩٥٦ في الشرق الأوسط، يجب على المترجم أن يختار بين تعبيرين نقيضين، لا يمثل أي منهما تحدياً لغوياً خاصاً في تسميته للحدث[٤]. والاختيار الأول، وهو السائد في الخطاب الغربي والداخل ضمن سردية متداولة في الغرب، هو الإشارة إلى تلك الأحداث بـ "أزمة قناة السويس". ويعمل اختيار "أزمة قناة السويس" على الفور علي تفعيل السردية التي تتبناها قوى الاستعمار: فبالنسبة لبريطانيا وفرنسا وإسرائيل قد كان من المصلحة والحكمة سرد هذه الأحداث بوصفها أزمة سياسية. أما التسمية المتداولة في العالم العربي، وهي تسمية غير متداولة في الغرب، فهي "العدوان الثلاثي". ويعمل هذا

الاختيار – الطبيعي في اللغة العربية – علي تفعيل إطار سردي مختلف تماماً عن سابقه، وهو إطار يدخل ضمن وعى أولئك الذين يتعرضون لذلك الهجوم ومواقفهم. ولا يستخدم المترجمون بالضرورة تعبير"العدوان الثلاثي" بدلا من "أزمة قناة السويس" عند نقلهم نصاً إنجليزياً إلى اللغة العربية، إذ أنهم قد ينقلون التعبير الإنجليزية نقلاً حرفياً إلى العربية، ربما لأنهم يؤمنون بسردية مفادها أن الترجمة ينبغي أن تكون ممارسة حيادية واحترافية. ولكن حتى في هذه الحالة، فإن اختيارهم سيكون من بين آثاره الضمنية الترويج لإحدى السرديتين وإضفاء الشرعية عليها. وتوجد اختيارات أخرى أمام المترجمين: فقد يترك المترجم التسمية الأصلية كما هي مع التعليق عليها أو حتى الاعتراض عليها في مقدمة النص أو في إحدى هوامشه. وفى حين يؤطر اختيار "تسليم السيادة" أو "أزمة قناة السويس" السردية تأطيراً معنياً، فإن هذا الإطار بدوره يمكن مساءلته، كما يمكن "إعادة تأطير" السردية بأكملها، في مواطن أو نقاط مختلفة داخل متن النص أو في حواشيه.

الفكرة – إذن – هي ألا نتعامل مع أي اختيار ترجمي بوصفه اختياراً عشوائياً ليست له أية آثار ضمنية في الواقع الفعلي، وكذلك فإن النظرية السردية لا تشجعنا عل التعامل مع اختيار معين (مثل "أزمة قناة السويس") بوصفه تحقيقاً لعرف عام مجرد مرتبط باختيارات أخرى مجردة مثل اختيار الالتزام بالتراكيب النحوية للغة المترجم لأن هناك معياراً غالباً وهو التركيز على "الكفاية" وليس "القبول"[٥] في الثقافة المترجم إليها في لحظة معينة من الزمن. وتدعونا النظرية السردية إلى أن نتجنب هذه التجريدات العامة والى أن نتفكر في الاختيارات الفردية باعتبارها طرفاً في واقع سياسي ملموس ومساهمة في إظهاره.

مواضع التأطير واستراتيجياته

إن عمليات التأطير (أو إعادة التأطير) يمكن أن تعتمد عملياً على أي مورد لغوى أو غير لغوى لإنشاء سياق تفسيري للقارئ أو المستمع. وقد يتضمن هذا استغلال وسائل شبه لغوية paralinguistic مثل التنغيم والطباعة، وموارد مرئية مثل الألوان والصور والتنسيق، إضافة بالطبع إلى الحيل اللغوية، مثل تغيير زمن الفعل والتعبيرات الإشارية، والتنقل بين المستويات اللغوية واستعمال التعبيرات المطلقة. وكذلك يمكن لمستخدمي اللغة – ومن ضمنهم المترجمون – أن يستغلوا سمات السردية (البعد الزمني والبعد العلائقي والتوظيف الانتقائي والصياغة السببية للحبكة) وذلك لتأطير أو إعادة تأطير نص أو منطوق يستهدفون به جماعة من المخاطبين. ويمكن للمترجم الذي يترجم نصاً مكتوباً أن يفعل ذلك في متن الترجمة أو في حواشيها. ويمكن أن يكون هذا التمييز بين ما يفعله المترجمون داخل نصوصهم وخارجها على درجة كبيرة من الأهمية في سياقات

معينة بسبب سطوة مفهومي الدقة والأمانة في مجال الترجمة الاحترافية — وخاصة الترجمة ذات الحساسية السياسية.

وعلى سبيل المثال، فإن منظمات المحافظين الجدد مثل منظمة "ميمري" MEMRI[٦] التي تخصصت في نشر ترجمات لنصوص عربية منتقاة بعناية لتوضيح سردية تصور المجتمعات العربية بوصفها مجتمعات متطرفة ومعادية للسامية وتهدد الديمقراطيات الغربية، تتوخى الدقة الشديدة في ترجمتها، لأن مصداقيتها سوف تنهار إذا استطاع خصومها أن يضعوا أيديهم على أخطاء في هذه الترجمات وينشروا قائمة بها، سواء كانت هذه الأخطاء مقصودة أم لا. إن القدر الأعظم من التأطير الذي تقوم به منظمة ميمري ومنظمة غربية أخري وثيقة الصلة بها هي "ووتشنج أميريكا" Watching America[٧]، يتم خارج النص أو الترجمة ذاتها. فأولاً، تتيح سمة "التوظيف الانتقائي" لكل من "ميمري" و "ووتشنج أميريكا" تأطير العالم العربي بوصفه عالماً متطرفاً وخطراً، وذلك ببساطة عن طريق اختيار أسوأ الأمثلة الممكنة في الخطاب العربي وترجمتها، ثم توزيع هذه الترجمات على وسائل الإعلام وعلى الكونجرس دون مقابل. والمثير للاهتمام أن منظمة ميمري لديها الآن فئة خاصة من الكتاب تطلق عليهم "الكتاب الإصلاحيين"، ويمثل هؤلاء عدد قليل من الأصوات من العالم العربي وإيران تترجم أعمالهم وتنشر مقتطفات من أقوالهم على موقع المنظمة من حين لآخر. وينادى هؤلاء "الإصلاحيون" بحرية الفكر وحقوق المرأة وما إلى ذلك. ويهدف هذا الاختيار "التجميلي" الذي يتم من حين لآخر لنصوص عربية غير متطرفة إلى إضفاء مظهر التوازن على تغطية منظمة ميمري، ويهدف في الوقت نفسه إلى إبراز الصورة العامة للعالم العربي وإيران بوصفهما مرتعاً للتطرف الذي يكتم الأصوات العاقلة المعدودة في المنطقة، تلك الأصوات التي أصبح لديها مساحة للتعبير عن نفسها يقدمها لها عن سعة صدر موقع أمريكي.

وثانياً، ففي حين تحافظ منظمتا "ميمري" و "ووتشنج أميريكا" على الإبقاء على الترجمة ذاتها قريبة جداً من الأصل، فإنهما قد تسمحان لأنفسهما بتغيير عنوان النص لتأطير السردية التي تصور المجتمعات العربية والإيرانية على أنها مجتمعات متطرفة أو تهدد الغرب أو مجرد مجتمعات "غريبةً في خطابها". فعلى سبيل المثال، قد نشرت أخيراً على موقع "ووتشنج أميريكا" ترجمة لمقالة من جريدة "الحياة الجديدة" الفلسطينية تحت عنوان "Oh America...Oh, Empire of Contradiction" (بالعربية: "آه يا أمريكا.. يا إمبراطورية التناقضات")[٨] والحقيقة أن العنوان العربي الأصلي لهذه المقالة كان أقل إثارة وأقل "غرابة" فقد كان عنوان المقالة: "علامات على الطريق: أمريكا والديمقراطية !!!"[٩]

وثالثاً، فإن منظمة "ووتشنج أميريكا" تدخل على النص الانجليزي صوراً ، ومعها التعليقات المناسبة، لتؤطر السردية المترجمة بوصفها جزءاً من السردية الأكبر

والأوسع للحرب على الإرهاب. ومن أمثلة ذلك الشكلان ١ و٢ اللذان يظهران في نص المقالة المترجمة عن جريدة "الحياة الجديدة".

رئيس السلطة الفلسطينية إسماعيل هنية
يرفع يديه بالدعاء قبل إحدى خطبه،
غالباً من أجل المال...
وغالباً من إيران (يمين)

محارب من كتائب
شهداء الأقصى بالضفة
الغربية، بمناسبة ذكرى
أحد أحداث العنف
الكثيرة التي جرت هناك
(يسار)

الشكلان (١) و (٢): الصور والتعليقات في ترجمة منظمة "ووتشنج أميريكا" الإنجليزية لمقالة "الحياة الجديدة".

ورابعاً، ولعل هذا هو الأهم، فإن كل ترجمة انجليزية لمقالة من جريدة عربية تأتى مصحوبة برابط لمقطع فيديو من اختيار منظمة ميمري مع تزويد الرابط بتعليق، وهو مايشكل وسيلة تأطير إضافية تشجع القارئ على تفسير حتى أكثر الخطابات العربية معقولية على أنها تخفى في طياتها نصاً تحتياً متطرفا. وقد جاءت هذه المقالة من "الحياة الجديدة" مصحوبة برابط فيديو مع تعليقات مناسبة عليه، كما هو مبين في الشكل رقم (٣). ومما يثير الاهتمام أن الترجمات من اللغات الأخرى لا تلقى المعاملة نفسها: فالترجمات من الصينية والأسبانية والفرنسية والألمانية وكثير من اللغات الأخرى تظهر على الموقع دون أية روابط لمقاطع الفيديو التي تقدمها ميمري، والتي تصور المجتمعات التي تتناولها بصورة الشياطين. واللغة الأخرى الوحيدة التي تلقى هذه المعاملة الخاصة (أو التي تخضع لهذه الإستراتيجية من استراتيجيات التأطير) هي — كما قد نتوقع — اللغة الفارسية.

فيديو من فلسطين: مديح التفجيرات الانتحارية أثناء دعوة لجمع الأموال لصالح حماس.

(أيقونة فيديو) قناة اقرأ، فلسطين: مقتطفات من خطبة لجمع الأموال يلقيها رجل الدين اليمني عبد المجيد الزندانى، ٢٣ مارس الساعة ١٨:٠٨:٠٠، عن طريق ميمري.

"بعد أن فشلت كل المحاولات، والسياسات، والبرامج، ووصل الناس أو كاد أن يصل الناس إلى اليأس، فوجئت الدنيا بأكملها بقرار من حماس. ما هو؟ انتفاضة. انتفاضة؟ أين؟ في فلسطين. في فلسطين!".

الشيخ اليمني عبد المجيد الزندانى

شكل (٣): مقطع فيديو مع التعليق عليه يصاحب ترجمة مقالة الحياة الجديدة — بتصريح من ميمري.

وإضافة إلى الصور والتعليقات والتلاعب بالعناوين، تعد عتبات النص paratexts موضعاً مهما لممارسة فعل التأطير في ترجمات الكتب؛ وتشمل عتبات النص صورة الغلاف وكلمة الناشر، والمقدمة والتصدير والهوامش. وفي حين أن المترجم لا يكون مسئولا عادة عن صورة الغلاف وكلمة الناشر[١٠]، فإنه غالباً ما يكتب المقدمة والتصدير والهوامش. وقد صدرت ترجمتان باللغة العربية لكتاب "صدام الحضارات" لصمويل هنتنجتون خلال فترة قصيرة جداً. صدرت الأولى عام ١٩٩٨ في مصر (ترجمة طلعت الشايب) والثانية عام ١٩٩٩ في ليبيا (ترجمة مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف). وقد صدرت الترجمتان بمقدمات موسعة. وكان للترجمة الليبية مقدمتان، أولاهما كتبها المترجمان معاً، وتتكون من أربع صفحات تعرض علي نحوٍ موجز لمحتوى الكتاب، مبينة ما أثاره من جدلٍ كبير؛ ويقول المترجمان في هذه المقدمة ما يلي (هنتنغتون ١٩٩٩: ١١):

> هذا، ونظراً لما لاحظناه من فوضي وعدم تنسيق في النص، وخلل في المنهجية التي يتبعها المؤلف، وسعياً منا للمساهمة في تحديد الأهداف الكامنة خلف أطروحة **صدام الحضارات**، فكان لابد من فك آليات ومنطلقات **خطاب صدام الحضارات** فقام الدكتور مالك عبيد أبو شهيوة بإعداد دراسة حول المنطلقات الفكرية والسياسية لخطاب صدام الحضارات والآليات التي يعتمد عليها في

طرح المفاهيم وفي إقناع الآخرين واكتساب المؤيدين، هذه الدراسة بعنوان:
مساهمة أولية للوعي بالآخر: منطلقات وآليات صدام الحضارات.

وتمثل الدراسة نفسها والتي كتبها أحد المترجمين كما بينت الفقرة السابقة المقدمة الثانية للترجمة. وهى مقدمة كبيرة الحجم تصل إلى ٤٩ صفحة وهى تفند هنتنجتون ونظريته تفنيداً مباشراً. أما الترجمة المصرية التي صدرت عام ١٩٩٨ فلها مقدمة من ١٩ صفحة، ليست بقلم المترجم وإنما بقلم مفكر عربي (هو صلاح قنصوه)، وهى أيضاً تفند الطرح الذي يقوم عليه الكتاب وتطعن في صحة فرضياته الأساسية. وهذه المقدمات الثلاث جميعها (مقدمتان للترجمة الليبية ومقدمة للترجمة المصرية) تسبق تصدير هنتنجتون نفسه لكتابه، وتستبق رد فعل القارئ للحجج التي يقدمها هنتنجتون للنص الأصلي. أي أن هذه المقدمات تؤطر النص المترجم الذي يليها تأطيراً سلبياً للغاية، وتشجع القارئ على تفسير طرح هنتنجتون من زاوية معينة حتى قبل البدء في قراءة كتابه.

ويمكن أيضاً أن تستغل الهوامش التي يكتبها المترجمون لأداء وظيفة تأطيرية مماثلة. فعلى سبيل المثال يقدم كتاب "رسائل إلى العالم: أقوال أسامة بن لادن" (لورنس وهوارث Lawrence and Howarth ٢٠٠٥) ترجمات تعج بالتعليقات لخطب أسامة بن لادن، ويستغل الكتاب الهوامش بشكل موسع لإعادة تأطير سردية بن لادن الشخصية (ومن خلالها سرديات الأصولية الإسلامية، وما يسمى بـ "صدام الحضارات"، و "الحرب على الإرهاب") بوصفها نتيجة مباشرة للسياسات الخارجية الغربية وليس نتيجة عقلية يصورها خطاب الحرب على الإرهاب عادة على أنها شر محض لا تفسير له. وقد لاحظ تشارلز جلاس في عرضه لهذا الكتاب في مجلة "لندن ريفيو أوف بوكس" London Review of Books أن بن لادن في هذا الكتاب "لا يبدو شخصاً مشوشاً كما يصر منتقدوه على أن يصوروه. فرسالته واضحة: دعوا العالم الإسلامي وشأنه، وسوف يدعكم وشأنكم.. اقتلوا المسلمين، وسوف يقتلونكم" (جلاس Glass ٢٠٠٦: ١٤). فكيف تحقق هذا الانطباع؟

إن الكتاب من تحرير بروس لورنس Bruce Lawrence، أما الخطب والأقوال المفردة فمن ترجمة جيمس هوارث James Howarth. وتعرض لنا المقدمة الرئيسية للمحرر (الصفحات ١١– ٢٣ من المقدمة) وملاحظات المترجم (صفحتا ٩ و١٠ من المقدمة) أن المحرر هو المسئول صراحة عن المقدمات الصغيرة المكتوبة في بداية كل ترجمة مفردة لأقوال بن لادن، وأن المترجم هو المسئول عن الهوامش المصاحبة لكل ترجمة. وهذه المقدمات والهوامش معاً تصور لنا بن لادن على أنه شخص عاقل، وذكى ولماح، ومتعلم وواضح؛ ولنأخذ مثلاً المقدمة الصغيرة التي كتبها المحرر لرسالة من بن لادن وضعت على الانترنت بتاريخ ٦ أكتوبر ٢٠٠٢ وتظهر في المجموعة تحت عنوان "إلى الأمريكان"

(لورنس وهوارث Lawrence and Howarth ٢٠٠٥ : ١٦٠–١٧٢)، إذ تقول لنا هذه المقدمة ما يلي (المرجع نفسه : ١٦٠):

تأتى هذه الصورة للولايات المتحدة بعد دعوة للشعب الأمريكي إلى التحول إلى الإسلام. ورغم أن هذا التحول لابد وأنه ضرب من الخيال — كما توحي بذلك الرسالة نفسها — فإن هذه الدعوة لها وظيفة عملية داخل "الأمة". فالغرض منها هو الرد على المسلمين من معارضي أحداث ١١ سبتمبر، والذين قالوا إن تنظيم القاعدة لم يقدم للأمريكان الفرصة للدخول في الإسلام قبل الهجوم عليهم، مخالفاً بذلك قول الله "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً". إن تفاصيل هذه الرسالة كلها تدور حول إثبات بن لادن للمسلمين أنه لم يترك باباً لإنهاء هذه الحرب بالطرق السلمية إلا وطرقه، وأنه قد أنذر الأمريكان بالدمار الذي سوف يحيق بهم إذا رفضوا الاستماع لنصحه.

وهذه الفكرة نفسها يؤكدها المترجم بهامش لتصريح آخر لبن لادن أثناء لقاء مع صحيفة استرالية ويظهر في مجموعة الرسائل نفسها ("النظام السعودي"، لورنس وهوارث Lawrence and Howarth ٢٠٠٥ : ٣١–٤٣)، وهى محاولة أخرى لتصوير بن لادن على أنه شخص راجح العقل ولديه قدر كبير من الفطنة السياسية (المرجع نفسه : ٣٢):

(٢) خلال هذا الكتاب سأستخدم عبارة "invitation to Islam" لترجمة المصطلح العربي "الدعوة". وللدعوة أهمية خاصة في سياق رسائل بن لادن الأخيرة إلى أمريكا وحلفائها بعد أحداث ١١ سبتمبر، والتي يعرض منها عليهم فرصة للدخول في الإسلام قبل المزيد من الهجمات عليهم، وهكذا "يبرئ ذمته وفق تعاليم الإسلام، فقد حذرهم ودعاهم إلى الإسلام قبل الهجوم". (مايكل شوير Michael Scheuer: *الغرور الإمبراطوري: لماذا يخسر الغرب الحرب على الإرهاب؟* [بوتوماك ٢٠٠٥] ص ١٥٣).

وبالإضافة إلى تصوير بن لادن على أنه شخص راجح العقل (وليس مشوشاً أو مختلاً)، فإن هذه المقدمات والهوامش تعطينا الانطباع أيضاً بأنه "إنسان" ، وأنه ذكى ولماح. ويركز المترجم بصفة خاصة على تفسير التلاعب الذكي بالألفاظ في خطاب أسامة بن لادن، بما يقوض تصويره المعتاد بوصفه "عدونا" — فنحن عادة لا نقر لأعدائنا بامتلاكهم البراعة اللفظية وروح الدعابة. وفيما يلي مثالان على ذلك: المثال الأول (لورنس وهوارثLawrence and Howarth ٢٠٠٥ : ١٩٤) يأتي مما يصفه محرر للكتاب في مقدمته الموجزة بأنه "القول الأول والوحيد لبن لادن الذي يتم تأطيره على أنه موعظة دينية". وهو جزء من شريط صوتي مدته ٥٣ دقيقة منشور على مواقع مختلفة على الانترنت وفى جريدة "الحياة".

النص الأساسي:

يبتغون ما عند الله تعالى، تأبى نفوسهم أن تنام على الضيم، يريقون ماء الحياة ولا يريقون ماء المحيا.[٢٤]

الهامش:

[٢٤]هذا تلاعب بالألفاظ في اللغة العربية، حيث يستخدم تعبيرا "ماء الحياة" و "ماء المحيا" صيغتين مختلفتين لجذر واحد.

ويأتي المثال الثاني في نهاية رسالة مسجلة على شريط صوتي لبن لادن أذاعتها الجزيرة بتاريخ ٤ يناير ٢٠٠٤ ("قاوموا روما الجديدة"، لورانس وهوارث ٢٠٠٥ Lawrence and Howarth: ٢٣٦).

النص الأساسي:

لو كان [بوش] صادقاً في دعواه للسلام لما قال عن باقر بطون الحوامل في صابرا وشاتيلا ومدبر عملية الاستسلام[٣]: "رجل سلام" [أرييل شارون]، ولما كذب على الناس وقال إننا نكره الحرية ونقتل لمجرد القتل.

الهامش:

[٣] يتلاعب بن لادن بالألفاظ هنا، حيث يستعمل تعبير "عملية الاستسلام" بدلاً من "عملية السلام". وكلمة "استسلام" مشتقة من جذر كلمة "سلام" نفسها.

إن مثل هذه الهوامش، إضافة إلى الآراء والأوصاف المبينة في المقدمة العامة للكتاب وكذا المقدمات الفرعية للترجمات المفردة، تعمل مجتمعة على تصوير أسامة بن لادن على أنه يتمتع بالرشد ورجاحة العقل، وان كان المحرر يقول بوضوح إن هذا ليس معناه أنه يوافق على أساليب بن لادن في التعبير عن المظالم التي وقعت عليه. إن الفكرة التي يبرزها المحرر، والتي تدعمها اختيارات المترجم بشكل غير مباشر، هي أنه يمكن أن تكون هناك سردية شديدة الاختلاف ولها نمط مختلف أيضاً من الصياغة السببية للحبكة، تستطيع أن تفسر لنا أمراض عالمنا الحاضر. فبدلاً من تفسير ما يسمى بالحرب على الإرهاب على أنها رد فعل ضروري للفظائع التي يرتكبها ضد الغرب البريء متطرفون مخبولون من العالم الإسلامي فإن هناك سردية جديدة لبن لادن تقول أن الغرب ليس بريئاً وأن ما يسمى بحربه على الإرهاب وما شابه ذلك من الفظائع مسئولة عن التطرف الرهيب و"العاقل" أيضاً الذي نشهده الآن. وتقاوم هذه السردية كل الجهود لتجريد العنف من كل تاريخيته عن طريق تصوير أشخاص مثل أسامه بن لادن على أنهم مجرد متطرفين مشوشي الذهن.

التأطير داخل الترجمة: مثال موسع

عُرض فيلم تسجيلي عربي بعنوان "جنين جنين" من إخراج محمد بكرى عام ٢٠٠٢، عقب الهجوم الإسرائيلي على مخيم جنين في الضفة الغربية المحتلة. وقد أخذت مشاهد هذا الفيلم بمخيم جنين باللغة العربية، وان كان واضحاً أنه موجه إلى جمهور دولي، فقد ترجم إلى الإنجليزية والعربية والفرنسية والأسبانية والايطالية (محمد بكرى: حوار شخصي). ويبدو أن النسخة المترجمة بالإنجليزية موجهة أساساً إلى جمهور أمريكي، كما سنرى لاحقاً. وتظهر لنا الأمثلة التالية من هذا الفيلم التسجيلي محاولتين للتأطير (أو إعادة التأطير) في رد فعل إزاء سرديات أكبر يتم تداولها على مستوي يتجاوز النص المباشر، ولا يمكن تفسير هاتين المحاولتين باللجوء إلى نظرية المعايير السائدة أو إلى ثنائية التغريب والتقريب التي اقترحها فينوتى. وقد ناقشت كلاً من المثالين من زوايا مختلفة في موضع آخر (بيكر Baker ٢٠٠٦أ: ٩٩ — ١٠٠؛ ٦٤–٦٦).

إطار فيتنام

ينشّط المثال الأول للتأطير (أو إعادة التأطير) إطاراً سردياً يبدو أنه قد اعتبر أكثر فعالية في سياق اللغة المترجم إليها. ففي مشهد من مشاهد الفيلم التسجيلي، نرى فلسطينياً مسناً يعرب عن صدمته إزاء ما حدث في جنين وإزاء لا مبالاة العالم وتخاذله عن التدخل لحماية الفلسطينيين. وينهى الرجل المشهد بقوله:

"أنا عارف والله العظيم، والله العظيم، بيتنا ما صار بيت".

أما الترجمة الإنجليزية المصاحبة على الشاشة فكانت كالتالي:

What can I say? Not even Vietnam was as bad as this.

(حرفياً: "ماذا أقول؟ حتى فيتنام لم تكن بهذا السوء.")

شكل ٤: مشهد من "جنين جنين"

إن اختيار التعبير عن الدمار الذي حاق ببيوت الفلسطينيين بالإشارة إلى فيتنام بدلاً من الإشارة الأصلية يمكن أن يفسر تقليدياً في دراسات الترجمة بأنه محاولة لـ

"تكييف النص الأصلي ثقافياً" acculturate، أي جعله أقرب فهماً إلى الجمهور المترجم إليه (وهو في حالتنا هذه جمهور أمريكي في الغالب). لكن هذا ليس بالتفسير المفيد أو المقنع. فلو كان هذا هو الدافع الرئيسي في حالتنا، لكان من الأوقع الإشارة إلى حدث أقرب وبالتالي أوضح في ذهن المشاهدين مثل أحداث الحادي عشر من سبتمبر. ويمكن القول بأن فيتنام على أية حال ليس لها ما لأحداث سبتمبر من صدى في ذهن الجمهور الأمريكي من الشباب، وبالتالي فإن اللجوء إلى تذكير الجمهور بأحداث سبتمبر كان سيضمن التعاطف والمشاركة الوجدانية من قطاع أكبر من المشاهدين الأمريكيين بشكل يفوق حرب فيتنام. ولكي نفهم الدافع وراء هذا الاختيار الترجمي وما يتضمنه من معان، يلزم علينا أن نرجع إلى السرديات الأكبر المتداولة في ذلك الوقت، في فلسطين وعلى المستوى الدولي.

أولاً، كانت السردية المباشرة لما حدث في مخيم جنين وفي غيره من مناطق فلسطين المحتلة في أبريل ٢٠٠٢ محل ارتياب شديد ومازالت موضع مساءلة، وذلك ينطبق علي كافة عناصر هذه السردية، بما في ذلك سبب غزو قوات الدفاع [كذا] الإسرائيلية للمخيمات وحتى عدد المنازل التي هدمتها القوات وعدد الأشخاص الذين قتلتهم، إلى غير ذلك. ومن بين مواضع الخلاف الخطابية في ذلك الوقت ما شاع في وسائل الإعلام الناطقة بالإنجليزية من وصف ما حدث في جنين بأنه "توغل". لقد أكد نشطاء حركة التضامن أن وصف "توغل" هو وصف مهذب جداً بالنسبة لهذا الاعتداء الكامل والمستمر الذي ترك المخيم أنقاضاً وخلف كثيراً من القتلى. إن الإشارة إلى فيتنام في الترجمة المذكورة تؤطر الحدث بوصفه حرباً عدوانية لا مجرد غارة محدودة كما يوحى وصف "توغل". إن حرب فيتنام بكل تأكيد لم تكن "توغلاً": فالمعروف أنها كانت حرباً آثمة ودامية، وهذا معروف بين قطاعات واسعة من الشعب الأمريكي كما هو معروف على مستوى العالم.

ثانياً، تقول إحدى السرديات التي ما تزال متداولة بشكل واسع بين الفلسطينيين وأيضاً وسط حركة التضامن الدولية المؤيدة لحقوق الفلسطينيين إن أمريكا مسئولة عن الفظائع الإسرائيلية قدر مسئولية إسرائيل نفسها — إذ لم يكن بإمكان إسرائيل أن تفعل ما فعلته من ظلم للفلسطينيين دون أن تلقى جزاء صنيعها لولا التأييد الكبير الذي تلقاه من الولايات المتحدة. إن اختيار فيتنام في هذا السياق ينشط هذه السردية الشائعة. إن اختيار تفعيل سردية فيتنام — بعيداً عن كونه اختياراً تغريبياً أو تقريبياً — يستدعي استحضار قوي الهيمنة ومقاومتها في الوقت نفسه. فهو يستدعي مقاربة قوي الهيمنة عن طريق اختيار إشارة لها صدى لدى الجمهور الأمريكي السائد (وهى الإشارة إلى فيتنام) وليس مجرد إشارة يمكن أن تعبر بالقدر نفسه عن أفعال العدوان الظالمة والدامية وإن كانت بلا صدى لدى ذلك الجمهور السائد: مثل كشمير أو حتى دارفور. وهذا الخيار يستدعي أيضاً المقاومة عن طريق تأطير أمريكا بوصفها معتدية

والإشارة في الوقت نفسه إلى أن الجمهور الأمريكي شريك في هذه المظالم التي ترتكبها حكومته — وأن هذا الجمهور يستطيع أن يرفض تلك المظالم، كما رفضها في حالة حرب فيتنام[١١].

الإطار العلماني

هناك محاولة أخرى مثيرة للاهتمام لإعادة تأطير السردية الفلسطينية الأكبر عن طريق إعادة صياغة جوانب من حديث العديد من الفلسطينيين الذين أجريت معهم لقاءات في هذا الفيلم التسجيلي، وهى المحاولة المتعلقة بالتعامل مع كلمة "شهيد"، التي تتكرر كثيراً في هذا الفيلم. إن المقابل المعتاد لهذه الكلمة في اللغة الإنجليزية هو كلمة martyr، لكن هذه الكلمة إشكالية لسببين. أولاً، تستخدم كلمة "شهيد" بصفة عامة في اللغة العربية للإشارة إلى أي شخص يقتل بطريق العنف، خاصة في الحرب، سواء كان قد اختار أن يشارك في الحرب أم لا، وبغض النظر عن الدين الذي يعتنقه. ولذلك فإن كلمة "شهيد" ليس لها إيحاءات المعاني الخاصة بالقتال والتطرف التي اكتسبتها كلمة martyr في الإنجليزية فيما يختص بالعالم العربي والإسلامي[١٢]. ثانياً، تثير كلمة martyr على الفور إيحاءات الارتباط بالأصولية الإسلامية في سياق من هذا النوع، وإذا ما استخدمت بشكل متكرر فإنها ستأتي في مصلحة من يريدون أن يصوروا الصراع في الشرق الأوسط على أنه حرب دينية، يؤجج نارها مسلمون مشوشو الذهن يسعون إلى حور الجنة. لذا فقد كانت الترجمة تأتى بكلمات أخرى مكافئة لكلمة martyr كلما وردت كلمة "شهيد" على لسان الفلسطينيين الذين يتحدثون في الفيلم التسجيلي، كما توضح ذلك الأمثلة التالية (انظر بيكر ٢٠٠٦أ: ٦٤–٦٦ لمزيد من الأمثلة):

مثال ١

"لسه بندور شهدا من تحت الأرض"

الترجمة الإنجليزية:

We are still pulling victims out of the rubble.

الترجمة العكسية:

ما زلنا نستخرج الضحايا من بين الأنقاض.

مثال ٢

"متخلفين عقلياً استشهدوا عندنا، معاقين استشهدوا عندنا، أطفال استشهدوا عندنا، نساء استشهدوا عندنا".

الترجمة الإنجليزية:

They killed some mentally disabled people, children and women in the camp.

الترجمة العكسية:
لقد قتلوا بعض المعاقين ذهنياً، وبعض الأطفال والنساء في المخيم.

إن اختيار ألفاظ مكافئة مثل "ضحايا" و"قتلوا" في الأمثلة السابقة (و "جثث" و "موتى" في أمثلة أخرى) بدلاً من كلمة المقابل التقليدي لكلمة "شهيد" يساعد على تأطير السردية الفلسطينية والعربية الأوسع في صورة أكثر علمانية.

على أن هناك استثناءين لهذا الاختيار في الفيلم التسجيلي بأكمله. الاستثناء الأول يأتي قرب نهاية مشهد يصور طفلة فلسطينية في حوالي السابعة أو الثامنة من عمرها كانت تعبر طيلة الفيلم عن التحدي والإصرار على البقاء. وتشبه هذه الطفلة مخيم جنين بـ "شجرة طويلة ..طويلة شامخة"، عبارة عن أوراق، كل ورقة منها "مكتوب فيها اسم شهيد .. اسم مقاوم". وتحتفظ الترجمة بهذه الصورة المجازية وبالترجمة القياسية لكلمة "شهيد" في هذه الحالة، ربما لأن الطفلة ذات المظهر البريء، وان بدت متحدية، يصعب أن تكون مثالاً للمتطرف مشوش الذهن الذي يسعى لأن يموت كي يدخل الجنة:

The camp is like a tall, eminent tree. The tree has leaves, and each leaf of the tree bears the name of a martyr.

الترجمة العكسية:

المخيم مثل شجرة عالية باسقة. والشجرة لها أوراق، وكل ورقة من أوراق الشجرة تحمل اسم شهيد. [١٣]

أما الحالة الثانية التي استخدمت فيها الترجمة الإنجليزية كلمة martyr (شهيد) فتأتى في أسماء المشاركين في نهاية الفيلم، وهى بالتالي ليست "ترجمة" لحوار في الفيلم. يبدأ الفيلم بهذا الإهداء:

إهداء إلى
المنتج المنفذ لفيلم "جنين"
إياد سمودي
الذي قتل في اليامون
بعد نهاية تصوير الفيلم
على يد الجنود الإسرائيليين
في ٢٠٠٣/٦/٢٣
محمد بكرى

وتتضمن أسماء المشاركين في نهاية الفيلم النص التالي:

المنتج المنفذ
الشهيد إياد سمودي

نخلص مما سبق إلى أن النظرية السردية تتيح لنا أن نفهم الاستراتيجيات التي تبدو متصادمة، مثل اختيار كلمات مكافئة ترجمياً لكلمة "شهيد" في مواضع مختلفة من الفيلم التسجيلي "جنين جنين"، إضافة إلى كلمات أخرى (مثل اختيار "فيتنام" الذي أشرنا إليه) هي تغريبية وتقريبية في الوقت نفسه. وعلى نقيض المفاهيم الجامدة التي تتغافل عن الإعتبارات المتعلقة بالسلطة، مثل "المعايير"، تقر النظرية السردية بأن الهيمنة والمقاومة لا يشكلان سلوكنا واختياراتنا الخطابية فحسب، بل أنهما دائماً في علاقة توتر. وغالباً ما يأخذ هذا التوتر شكلاً خطابياً discursive في نهاية الأمر، ويمكن أن ينتج عن التفاعل بين الهيمنة والمقاومة طائفة من الاختيارات يصعب تبسيطها. وبدلاً من تجاهل الاختيارات التي لا تناسب النمط المتكرر، فإن الإقرار بهذا التفاعل بين الهيمنة والمقاومة يتيح لنا تفسير المشهد المعقد الذي يضم داخله المواقع المتباينة التي يتخذها المترجمون، كما يضمن لنا هذا الإقرارالقدرة علي رؤية المترجمين باعتبارهم طرفاً في الواقع السياسي الملموس.

الهوامش :

(*) في الأصل translators and interpreters (حرفيا: "المترجمون التحريريون والمترجمون الفوريون")، إلا أن كلمة "ترجمة" (وكذا كلمة "مترجم") في اللغة العربية أوسع مدلولا من كلمة translation الإنجليزية، إذ تشمل "الترجمة" أنواعا مختلفة مثل "الترجمة التحريرية" و"الترجمة الفورية" (أو "الترجمة الشفهية" بأنواعها) و "ترجمة الأفلام والأعمال المرئية"، وذلك على عكس كلمة translation التي تستخدم بصفة عامة للإشارة إلى الترجمة التحريرية فقط، ولا تدل على الترجمة الفورية interpreting أو ترجمة الأفلام والأعمال المرئية subtitling. وعليه فقد استخدمت كلمة "ترجمة" للدلالة على هذه الأنواع جميعها ما لم تكن التفرقة بين نوعين أو أكثر ذات أهمية خاصة بالنسبة للسياق الذي ترد فيه (المترجم).

(١) انظر بيكر Baker (٢٠٠٥، ٢٠٠٦ب).

(**) أفدت من المقابلات العربية للمصطلحات الخاصة بالسردية والتي استخدمها حازم عزمي في ترجمته لمقال "ترجمة السرديات /سرديات الترجمة: هل حقا الترجمة جسر بين الشعوب والثقافات؟" (فصول ٦٦ (٣) ٢٠٠٥)، وهو يستوجب الشكر بوصفه صاحب السبق في هذا، وأحيل القارئ إلى المقال المشار إليه لتكوين صورة أشمل عن النظرية السردية وتطبيقها على الترجمة. كما أتوجه بالشكر لصاحبة المقال منى بيكر ولمحرر الملف سامح فكري اللذين ساهمت ملاحظاتهما في إخراج الترجمة بهذه الصورة (المترجم).

(٢) لا يقتصر مفهوم التأطير بهذا المعنى على الحركية رغم ذلك، وان اعتمد ذلك بالطبع على كيفية تعريف المرء للحركية. وقد استقيت بعض الأمثلة التي سأناقشها لاحقاً من مصادر أعتبرها أنا شخصياً أكثر ضرراً من أن توصف بأنها "حركية". ومن بينها جماعات دعائية مثل "ميمري" MEMRI التي أخذت على عاتقها شيطنة المجتمعات العربية والإسلامية والعمل على تأليب الغرب على بقية العالم.

(٣) من بين الاختيارات المشابهة في السياق الصيني أيضاً الاختيار بين تعبيري "مذبحة تيانانمين" و"حادث تيانانمين" أو "احتجاجات تيانانمين". مصدر هذه الأمثلة د. كيفين لين Dr. Kevin Lin، كبير المترجمين الفوريين بوزارة الخارجية في بريطانيا.

(٤) في عام ١٩٥٦ تعرضت مصر لهجوم من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، وذلك بعد قرار مصر تأميم قناة السويس التي تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر وخليج السويس.

(٥) في الإطار الذي اقترحه توري Toury (١٩٨٠، ١٩٩٥)، فإن المعيار المبدئي الذي يحكم أي ترجمة هو الاختيار بين الكفاية adequacy والقبول acceptability، فالترجمة إما أن تلتزم بمعايير النص الأصلي أو اللغة أو الثقافة الأصلية (وتكون في هذه الحالة ترجمة كافية) أو أن تلتزم بالمعايير السائدة في اللغة والثقافة المترجم إليها (وتكون في هذه الحالة ترجمة مقبولة). ويقرر الالتزام بالمعايير السائدة في الأصل كفاية المترجم فيما يختص بالنص الأصلي، أما الالتزام بالمعايير الناشئة في الثقافة المترجم إليها فيقرر قبول الترجمة داخل تلك الثقافة.

(٦) انظر موقعها على الانترنت www.memri.org. وانظر أيضاً بيكر Baker (٢٠٠٦أ: ٧٣ – ٧٦، ١٠٨ – ١٠٩) لمناقشة تفصيلية لمنظمة "ميمري" وأنشطتها في مجال الترجمة.

(٧) انظر موقعها على الانترنت www.watchingamerica.org .

(8) http://www.watchingamerica.com/alhayataljadeeda000003.shtml

(9)http://www.alhyat-j.com/details.phpopt=1&id=22102&cid=394

(١٠) لبعض التحليلات المهمة لأغلفة الترجمات المنشورة وكلمات الناشرين، انظر واتس Watts (٢٠٠٠) ، وهارفى Harvey (٢٠٠٣ ب)، وآسيماكولاس Asimakoulas (٢٠٠٥).

(١١) تسعي مني بيكر هنا إلي هدم ثنائية التقريب والتغريب domestication/foreignization التي أرساها لورنس فينوتي في كتابه الشهير *خفاء المترجم*. ففي هذه الثنائية يربط فينوتي بشكل آلي بين استراتيجية التغريب وسعي المترجم لمناوشة، بل مناهضة القيم اللغوية والجمالية والإجتماع–ثقافية السائدة في اللغة المترجم إليها. كذلك يربط فينوتي أيضاً بين استراتيجية التقريب وميل المترجم إلي مسايرة القيم السائدة في اللغة المترجم إليها. تدلنا الكثير من حالات الترجمة علي ما في هذه الثنائية من تعسف واختزال للتعقيد الشديد الذي يسم خيارات المترجمين الذين يلجأ بعضهم – كما الحال في ترجمة فيلم *جنين جنين* – إلي التقريب ولكن ليس بهدف الإمتثال لجهاز التفكير السائد في الثقافة المترجم إليها وإنما بهدف مساءلته، ومقاومته (المحرر).

(١٢) لكلمة martyr بالطبع إيحاءات مختلفة تماماً في سياقات أخرى، مثل استخدامها في خطاب الديانة المسيحية.

(١٣) يلاحظ أن الترجمة مع هذا خففت من الصورة عن طريق حذف كلمة "مقاوم".

المراجع:

Asimakoulas, Dimitris (2005) 'Brecht in Dark Times: Translations of His Works Under the Greek Junta (1967-1974)', Target 17(1): 93-110.

Baker, Mona (2005) 'Narratives in and of Translation', SKASE Journal of Translation and Interpretation 1(1): 4-13. Online: www.skase.sk.

Baker, Mona (2006a) Translation and Conflict: A Narrative Account, London & New York: Routledge.

Baker, Mona (2006b) 'Translation and Activism: Emerging Patterns of Narrative Community', The Massachusetts Review XLVII(3): 462-484.

Cunningham, David and Barb Browning (2004) 'The Emergence of Worthy Targets: Official Frames and Deviance Narratives Within the FBI', Sociological Forum 19(3): 347-369.

Fisher, Walter R. (1987/1989) Human Communication as Narration: Toward a Philosophy of Reason, Value, and Action, Columbia, South Carolina: University of South Carolina Press.

Glass, Charles (2006) 'Cyber-Jihad', London Review of Books 28(5): 14-18.

Goddard, Barbara (1990) 'Theorizing Feminist Discourse/Translation', in Susan Bassnett & André Lefevere (eds) Translation, History and Culture, London & New York: Pinter Publishers, 87-96.

Goffman, Erving (1974/1986) Frame Analysis: An Essay on the Organization of Experience, Boston: Northeastern University Press.

Hall, John R., Mary Jo Neitz and Marshall Battani (2003) Sociology on Culture, London & New York: Routledge.

Harvey, Keith (1998) 'Translating Camp Talk. Gay Identities and Cultural Transfer', The Translator 4(2): 295-320.

Harvey, Keith (2003a) Intercultural Movements. American Gay in French Translation, Manchester: St. Jerome.

Harvey, Keith (2003b) ''Events' and 'Horizons': Reading Ideology in the 'Bindings' of Translations', in María Calzada Pérez (ed) Apropos of Ideology – Translation Studies on Ideology – Ideologies in Translation Studies, Manchester: St. Jerome Publishing, 43-69.

Huntington, Samuel (1993) 'The Clash of Civilizations', Foreign Affairs 72(3): 22-49.

Huntington, Samuel (1996) The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order, New York: Touchstone.

Katan, David (1999, 2004) Translating Cultures, Manchester: St. Jerome Publishing (2nd edition).

Keenaghan, Eric (1998) 'Jack Spicer's Pricks and Cocksuckers. Translating Gay Desire into Visibility', The Translator 4(2): 273-294.

Lawrence, Bruce (ed) and James Howarth (trans.) (2005) Messages to the World: The Statements of Osama Bin Laden, London & New York: Verso.

Simon, Sherry (1996) Gender in Translation, London & New York: Routledge.

Somers, Margaret (1992) 'Narrativity, Narrative Identity, and Social Action: Rethinking English Working-Class Formation', Social Science History 16(4): 591-630.

Somers, Margaret (1994) 'The Narrative Construction of Identity: A Relational and Network Approach', Theory and Society 23(5): 605-49.

Somers, Margaret (1997) 'Deconstructing and Reconstructing Class Formation Theory: Narrativity, Relational Analysis, and Social Theory', in John R. Hall (ed) Reworking Class, Ithaca & London: Cornell University Press, 73-105.

Somers, Margaret R. and Gloria D. Gibson (1994) 'Reclaiming the Epistemological "Other": Narrative and the Social Constitution of Identity', in Craig Calhoun (ed) Social Theory and the Politics of Identity, Oxford UK & Cambridge USA: Blackwell, 37-99.

Tannen, Deborah and Cynthia Wallat (1993) 'Interactive Frames and Knowledge Schemas in Interaction: Examples from a Medical Examination/Interview', in Deborah Tannen (ed) Framing in Discourse, New York: Oxford University Press, 57-76.

Toury, Gideon (1980) In Search of a Theory of Translation, Tel Aviv: Porter Institute.

Toury, Gideon (1995) Descriptive Translation Studies and Beyond, Amsterdam: John Benjamins.

Venuti, Lawrence (1993) 'Translation as Cultural Politics: Regimes of Domestication in English', Textual Practice 7: 208-23.

Venuti, Lawrence (1995) The Translator's Invisibility, London & New York: Routledge.

Venuti, Lawrence (1998) 'Introduction', Translation and Minority, Special issue of The Translator 4(2): 135-144.

von Flotow, Luise (1997) Translation and Gender. Translating in the 'Era of Feminism', Manchester: St. Jerome Publishing.

Watts, Richard (2000) 'Translating Culture: Reading the Paratexts of Aimé Césaire's Cahier d'un retour au pays natal', TTR XIII(2): 29-46.

Whitebrook, Maureen (2001) Identity, Narrative and Politics, London & New York: Routledge.

هنتنجتون، صمويل (١٩٩٨) *صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي*. ترجمة طلعت الشايب، القاهرة: سطور.

هنتنغتون، صموئيل (١٩٩٩) *صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي*. ترجمة مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف، بني غازي: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.